

سلسلة دنيا العلوم

أحلام والظل العنيد

تأليف ورسوم
عبد الرحمن بكر



دار التقوى

دار
التقوى
للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس - القاهرة
ص.ب : ٦٧١ العتبة كود ١١٥١١
تليفون : ٢٩٨٩٩٤٣

جميع حقوق الطبع
والنشر محفوظة للناسر
ولا يجوز إعادة طبع أو
اقتباس جزء منه بدون
إذن كتابى من الناسر .

الطبعة الثانية

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع

١٩٩٩ / ١٠٨٠٢

ISBN

977-5840-05-8

أَلْقَتْ أَحْلَامُ الْكَرَةِ إِلَى سَلْوَى الَّتِي التَّقْتِطُهَا بِمَهَارَةٍ ..
وَكَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ بَدَأَتْ تَمِيلُ إِلَى الْمَغِيبِ وَلَكِنْ لَذَّةُ اللَّعِبِ
أَنْسَتْهُمَا الْوَقْتَ .

قَذَفَتْ سَلْوَى بِالْكَرَةِ .. لَكِنَّ أَحْلَامَ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلْتَقِطَهَا ..
وَجَرَتْ الْكَرَةُ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ سُورِ الْحَدِيقَةِ .
انْطَلَقَتْ أَحْلَامُ خَلْفَهَا لِتَحْضِرَهَا ..

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحْظَاتٍ حَتَّى لَحِقَتْهَا سَلْوَى عِنْدَمَا سَمِعَتْهَا
تَصْرُخُ بَعْدَ أَنْ تَعَثَّرَتْ فِي حَجَرٍ وَهِيَ تَجْرِي خَلْفَ الْكَرَةِ .

مَدَّتْ سَلْوَى إِلَيْهَا يَدَهَا وَلَكِنَّ يَدَ أَحْلَامٍ وَمَلَابِسَهَا
كَانَتْ قَدْ اتَّسَخَتْ مِنْ هَذَا الطِّينِ الَّذِي يَمَلُّ الْأَرْضَ فَقَدْ انْتَهَى
الْجَنَائِنِ مِنْذُ لِحْظَاتٍ مِنْ رَشِّ الْحَدِيقَةِ .. قَامَتْ أَحْلَامُ بِصُعُوبَةٍ ..
وَنَظَرَتْ إِلَى مَلَابِسِهَا فِي حُزْنٍ وَقَالَتْ : رَبَّاهُ مَاذَا أَفْعَلُ : سَيُضَايِقُ

هَذَا أُمِّي كَثِيرًا .. وَلَكِنِّي سَاحَاوُلُ أَنْ أَنْظِفَ مَلَابِسِي قَدْرَ
الْإِمْكَانِ وَأَغْسِلَ يَدَيَّ مِنْ صَنْبُورِ الْحَدِيقَةِ .

فَتَحْتُ أَحْلَامُ الصَنْبُورِ بَيْنَمَا أَخَذْتُ سَلْوَى تُسَاعِدُهَا ..
حَتَّى نَظَّفْتُ يَدَيْهَا وَمَعْظَمَ مَلَابِسِهَا ..

ثُمَّ قَامَتْ أَحْلَامُ فِي سَعَادَةٍ وَهِيَ تَقُولُ لَسَلْوَى :

الآنَ يُمَكِّنِي أَنْ أَمْشِيَ فِي الطَّرِيقِ .. لِكِي أَصِلَ إِلَى الْبَيْتِ
دُونَ أَنْ يَسْخَرَ مِنِّي أَحَدٌ ..

مَشَتْ أَحْلَامُ فِي قَلْقٍ .. فَقَدْ لَاحَظَتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظِفْ نَفْسَهَا
جَيِّدًا .. أَوْ أَنَّ هُنَاكَ شَيْءٌ يُشْعِرُهَا بِذَلِكَ فَسَأَلَتْهَا سَلْوَى :

مَاذَا بكَ يَا أَحْلَامُ .. لِمَاذَا أَنْتِ قَلْقَةٌ ؟

فَأَجَابَتْ عَلَى الْفُورِ ، انْظُرِي يَا سَلْوَى .. إِلَى هَذَا الشَّيْءِ
الَّذِي يُتَابِعُ أَقْدَامِي .. إِنَّهُ يُشْعِرُنِي أَنَّي لَمْ أَنْظِفْ نَفْسِي جَيِّدًا .



ضَحَكَتْ سَلَوَى وَقَالَتْ : إِنَّهُ ظَلَّكَ يَا أَحْلَامُ .. كَيْفَ

لَا تَعْرِفِينَ ظَلَّكَ .. إِنَّ لِي ظِلًّا مِثْلَهُ تَمَامًا وَهُوَ لَا يَفْتَرِقُ عَنَّا أَبَدًا

فَأَجَابَتْهَا أَحْلَامُ وَمَا زَالَ شَعُورُ الْقَلْقِ وَالضِّيقِ يُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا ..

أَعْلَمْ يَا حَبِيبَتِي ذَلِكَ .. وَلَكِنَّهُ شُعُورِي الدَّاخِلِي بِأَنِّي لَمْ

أَعِدْ نَظِيفَةً وَرُؤْيَى لِظِلِّي الْأَسْمَرِ تَجْعَلُ شُعُورِي هَذَا يَزْدَادُ.

دَخَلَتْ أَحْلَامُ الْمَتَلَ وَخَلَفَهَا سَلَوَى .. كَانَتْ أَحْلَامُ تَنْظُرُ

إِلَى الْأَرْضِ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقَاوِمَ شَعُورَهَا بِالْخَجَلِ .. نَظَرَتْ الْأُمُّ

إِلَى مَلَابِسِ أَحْلَامِ .. وَقَالَتْ بِغَضَبٍ : إِلَى مَتَى سَتَظَلِّي تُلَوِّثِينَ

مَلَابِسَكَ لِمَاذَا لَا تَحَافِظِينَ عَلَى نَفْسِكَ؟ لَقَدْ كَبُرَتْ عَلَى ذَلِكَ ..

فَضَحَكَتْ سَلَوَى .. وَقَالَتْ :

انْتَظِرِي يَا عَمَّتِي .. أَنْتِ لَا تَعْرِفِينَ السَّبَبَ .. لَقَدْ سَقَطَتْ

فِي الْحَدِيقَةِ بَدُونِ أَنْ تَقْصِدَ فُلُوْثَ مَلَابِسِهَا ..

وَقَدْ كَانَتْ فِي ضِيقٍ شَدِيدٍ وَكَانَ لَدَيْهَا شُعُورٌ بِأَنَّهَا مُتَسَخَّةٌ
وَأَنَّ ظِلَّهَا أَيْضًا مُكْمَلًا لِذَلِكَ .

التفت الأبُ إلى أحلامٍ قائلاً :

ألا تعرفين يا أحلام .. مَا هُوَ الظِّلُّ وكيف يحدثُ وَمَا هِيَ
فائدتهُ لِلإِنْسَانِ ؟ .

تعجبتُ أحلامٌ .. وقالتُ : وهلْ لهذا الشَّيْءِ الأَسْوَدُ الَّذِي
يُتَابَعُنِي فائدةٌ ؟ . إِنَّهُ لَا يُفَارِقُنِي أَبَدًا مَهْمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَقْفِزَ أَوْ
أَجْرَى لِأَبْتَعِدَ عَنْهُ إِنَّهُ عِنْدِي جَدًّا يَا أَبِي :

فَقَالَتْ لَهَا الأُمُّ : تَعَالَى أَوَّلًا لِتُبَدِّلِي مَلَابِسَكَ لَكِي أَغْسِلُهَا ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ اسْأَلِي عَنِ الظِّلِّ .

بَعْدَ أَنْ بَدَّلَتْ أَحْلَامُ مَلَابِسَهَا .. جَلَسَ الأبُ مَعَهَا هِيَ
وَصَدِيقَتُهَا سَلْوَى وَقَدْ أَمْسَكَ بِيَدَيْهِ كِتَابٌ صَغِيرٌ وَأَخَذَ
يُحَدِّثُهُمْ قَائِلًا :

هل تعلمين يا أحلام أن ظلك يُلازمك أينما ذهبتِ تحت
ضوءِ الشمسِ .. وهو يطولُ ويقصرُ حسبَ موقعِ الشمسِ منكِ
فعندَ الشروقِ أو الغروبِ يكونُ الظلُّ طويلاً واتجاهه إلى الجانبِ
الآخرَ بعيداً عنْ موقعِ الشمسِ منكِ .. وذلكَ لأنَّ الشمسَ تكونُ
قربَ الأفقِ .

وعندَ الظَّهيرةِ يكونُ طولُه بسيطاً جداً .

فقلتُ أحلامُ : ألا يُفارقني أبداً يا أبا ؟ .

فأجابها : نعم يا ابنتي هوَ معكِ على الدوامِ إلا في حالاتٍ
نادرةٍ .. فمثلاً إذا كانَ الطقسُ غائماً .. أو كنتِ داخلَ غرفةٍ
مُظلمةٍ فإنه يختفي حتّى يظهرَ أيُّ ضوءٍ .

فقلتُ سلوى : ولكنْ يا عمّي .. ما هو الظلُّ وكيفَ
يظهرُ ؟ تُريدُ أنْ نعرفَ حكايته .



أَمْسَكَ الْأَبُ الْكِتَابَ وَأَشَارَ لَهُمْ عَلَى بَعْضِ الصُّورِ وَقَالَ :
إِنَّ لَنَا ظِلَالًا لِأَنَّ الضَّوْءَ يَتَحَرَّكُ بِطَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ .. فَهُوَ يَنْبَعُثُ مِنْ
مَصْدَرِهِ فِي خُطُوطٍ مُسْتَقِيمَةٍ تَسْمَى "شُعَاعُ الضَّوْءِ" ، إِنَّهُ يَتَحَرَّكُ
فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ لَكِنْ إِذَا اعْتَرَضَهُ شَيْءٌ .. مِثْلَ إِنْسَانٍ مَثَلًا أَوْ
شَجَرَةٍ أَوْ مَتَرٍ أَوْ صَخْرَةٍ .. فَإِنَّهُ يَتَوَقَّفُ عِنْدُنْهِ وَيُصْبِحُ الْمَكَانُ
الْمَوْجُودُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ لِلشَّيْءِ الَّذِي أَوْقَفَهُ مُظْلَمًا . هَذَا
الْمَكَانُ الْمُظْلَمُ يُسَمَّى الظِّلَّ .

وَكَمَا تَعْلَمُونَ إِنَّهُ لَيْسَ لِلْأَشْيَاءِ ظِلَالٌ فِي الْيَوْمِ شَدِيدِ
الْغُيُومِ . لِأَنَّ السَّحْبَ تَكْسِرُ شُعَاعَ الضَّوْءِ الْمُنْبَعِثِ مِنَ الشَّمْسِ
فَهِيَ بِذَلِكَ تَمْتَصُّ جُزْءًا مِنْهُ ، وَتَشْتَتِ الْبَاقِي فِي الْإِتِّجَاهَاتِ
الْأُخْرَى وَلِذَلِكَ لَا تَتَكُونُ الظِّلَالُ ، لِأَنَّ شُعَاعَ الضَّوْءِ قَدْ تَشْتَتِ
وَارْتَدَّ بَدَلًا مِنْ التَّحَرُّكِ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ . وَلِأَنَّ الظِّلَّ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا"

قَالَتْ أَحْلَامٌ: فِعْلًا يَا أَبِي سُبْحَانَ اللَّهِ.

وَلَكِنْ مَا الْحِكْمَةُ مِنْ وَجُودِ الظِّلِّ .. وَلِمَاذَا خَلَقَهُ اللَّهُ؟ ..

وَلِمَاذَا يُعْتَبَرُ نِعْمَةً عَظِيمَةً؟

قَلْبَ الْأَبِّ إِحْدَى صَفَحَاتِ الْكِتَابِ وَكَانَ مَوْضُوعَهَا الْكَسُوفُ،

التَفَتَ الْأَبُّ إِلَى أَحْلَامٍ وَسَلَوَى قَائِلًا:

يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ دَقِيقًا وَيُلَاحِظَ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ

فَلَوْ رَاقَبْتُمْ أَطْوَالَ الظَّلَالِ مِنْ حَوْلِكُمْ فِي يَوْمٍ مُشْمَسٍ .. لَرَأَيْتُمُوهَا

تَتَغَيَّرُ فِي مُخْتَلَفِ أَوْقَاتِ النَّهَارِ حَسَبَ تَغْيِيرِ مَوْقِعِ الشَّمْسِ، فَالشَّمْسُ

تَرْتَفِعُ بَعْدَ إِشْرَاقِهَا حَتَّى تُصْبِحَ فَوْقَ رَأْسِ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الظُّهْرِ. ثُمَّ

تَبْدَأُ فِي الْانْحِدَارِ نَحْوَ الْغُرُوبِ، وَنَتِيجَةً لِهَذَا التَّغْيِيرِ الْيَوْمِيِّ فِي مَوْقِعِ

لهذا التغير اليومي في موقع الشمس وفي اتجاه أشعتها يلقى أي جسم ثابت كالشجر والبيوت والإنسان مثلاً ظلالاً مختلفة الطول وفي اتجاهات مختلفة كلما تقدم النهار وينتج عن هذه الاختلافات أشياء كثيرة ، وبعض الظواهر النادرة في الكون .

ففي خلال دوران القمر حول الأرض .. والأرض حول الشمس لا تقع الأرض والقمر والشمس في خطٍ مستقيم .. لاختلاف مستوى مدار الأرض عن مستوى مدار القمر ..

ولكن يحدث أحياناً أن يمر القمر مباشرةً بين الأرض والشمس .. فيلقى ظلاً ضخماً على جزء من سطح الأرض .

هنا قفرت أحلام في فرح .. لقد عرفتُه يا أبي إنه الكسوف
لقد درسته في المدرسة ودرست أيضاً أن مكان ظل القمر على الأرض يحجب الضوء تماماً .. ويكون كسوف الشمس كلياً في ذلك المكان .. ضحك الأب وهو يقول :



بالفعلِ يَا بُنَيَّ كَلَامِكَ صَحِيحًا .. وهناك معلومةٌ أيضًا أنَّ
درجةَ الحرارةِ في مناطقِ الكسوفِ تنخفضُ لأنَّه قد توقفت طاقةُ
الشمسِ عن الوصولِ إليها .

فَكَرْتُ سَلَوِي قَلِيلًا ثُمَّ قَالَتْ :

ولكنَّ يَا عَمَّاه .. هلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ خَسُوفَ الْقَمَرِ يُعْتَبَرُ
ظلاًّ أيضًا .

فَقَالَ الْأَبُ : نَعَمْ يَا سَلَوِي فَالْخُسُوفُ وَالْكَسُوفُ عِبَارَةٌ عَنْ
ظِلٍّ .. وَخُسُوفُ الْقَمَرِ يَكُونُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ (عِنْدَمَا يَكُونُ بَدْرًا)
وَذَلِكَ إِذَا صَادَفَ مَرُورُ الْأَرْضِ مُبَاشَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ
فَتَحْجَبُهُ بِظِلِّهَا . وَيَكُونُ الْخُسُوفُ كَامِلًا بَحِثْ يُحْجَبُ الضَّوُّ عَنْ
الْقَمَرِ تَمَامًا وَيُسَمَّى خُسُوفٌ كَلْبِيٌّ لِلْقَمَرِ .. وَيَكُونُ الْخُسُوفُ
جُزْئِيًّا عِنْدَمَا يَحْجَبُ ضَوْءَ الشَّمْسِ عَنْ جُزْءٍ مِنَ الْقَمَرِ فَقَطْ .

وَيُعْتَبَرُ الْكَسُوفُ أَحَدُ أَدْلَةٍ صَدَقَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ الَّتِي أَثْبَتَ
بِهَا لِلْعَالَمِ صَدَقَ رِسَالَتِهِ وَرَغِمَ أَنَّهُ يَحْدُثُ كُلُّ فِتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ

إِلَّا أَنَّهُ حَدَثَ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ كَسُوفٌ لِلشَّمْسِ وَكَانَ ذَلِكَ
يَوْمَ وَفَاةِ ابْنِهِ "إِبْرَاهِيمَ" فَفَرَعَ النَّاسُ وَأَخَذُوا يَصْرَخُونَ وَيَقُولُونَ
أَنَّ الشَّمْسَ كُسِفَتْ لِمَوْتِ "إِبْرَاهِيمَ" وَذَهَبُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ
يَسْتَنْجِدُونَ فَقَالَ لَهُمْ :

إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ
أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا .

وَقَدْ دَلَّ الْعِلْمُ عَلَى مَدَى آلَافِ السِّنِينَ الْقَادِمَةِ أَنَّهُ صَادِقٌ
أَمِينٌ فِي رِسَالَتِهِ فَلَوْ أَنَّهُ كَاذِبٌ - حَاشَا لِلَّهِ - أَوْ مُدَّعٍ لِلنَّبُوَّةِ
لَا سَتَغْلَ هَذِهِ الْفُرْصَةُ لِيُؤْمِنَ بِهِ الْعَرَبُ جَمِيعًا وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا
عَنِ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ وَلَكِنَّهُ عَلَّمَنَا مَعْنَى الْخُسُوفِ وَالْكُسُوفِ
فِي كَلِمَاتِهِ الْقَلِيلَةِ ﷺ . وَرَغِمَ أَنْ الْعِلْمَ لَمْ يَعْرِفْ الْكُسُوفَ
وَالْخُسُوفَ إِلَّا بَعْدَهَا بِمِائَاتِ السِّنِينَ .

ابْتَسَمَتْ أَحْلَامُ وَقَالَتْ بِذِكَاةٍ :

وَأَنَا يَا أَبِي أَعْرِفُ أَهَمَّ فَائِدَةٍ لِلظِّلِّ ..

فقال الأب : وَمَا تِلْكَ الْفَائِدَةُ يَا أَحْلَامُ .

فقالت : أَهْمُ فَائِدَةٍ لِلظِّلِّ أَنَّنِي إِذَا جَلَسْتُ تَحْتَ ظِلِّ أَى شَجَرَةٍ أَوْ بَيْتٍ أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ وَأَحْتَمِي مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ .

فقال الأب : نَعَمْ يَا أَحْلَامُ .. أَنْتِ عَلَى حَقٍّ فَالْعَرَبُ قَدِيمًا كَانُوا يَحْتَمُونَ مِنْ شَمْسِ الصَّحَرَاءِ بِالنَّوْمِ تَحْتَ ظِلِّ النَّخِيلِ وَيَنْصُبُونَ الْخِيَامَ لِيَسْتَرِيحُوا تَحْتَ ظِلِّهَا وَبَيْتُنَا هَذَا أَيْضًا نَعِيشُ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِهِ وَنَحْتَمِي بِهِ مِنَ الشَّمْسِ .

قالت أَحْلَامُ : حَسَنًا يَا أَبِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ أُحِبُّ الظِّلَّ وَسَأَكُونُ سَعِيدَةً دَائِمًا بِأَنَّهُ رَفِيقِي الَّذِي لَا يُفَارِقُنِي أَبَدًا .

هَنَا دَخَلَتِ الْأُمُّ فَجَاءَةً وَقَالَتْ :

خُذِي يَا أَحْلَامُ لَقَدْ غَسَلْتُ لَكَ مَلَابِسَكَ وَنَشَرْتُهَا لِتَجِفَّ فِي الشَّمْسِ بَعِيدًا عَنِ الظِّلِّ لِكِي تَسْتَرِيحِي .

فَضَحِكَ الْأَبُ وَضَحِكَتْ أَحْلَامُ وَسَلَوَى .